المحاضرة العاشرة لمادة علوم القرآن

المرحلة الاولى/ قسم اللغة العربية

القراءات السبع في عصر ابن مجاهد ت324 هـ

قبل الخوض في هذا الموضوع لابد من معرفة عدد من الصحابة الذين اشتهروا في القراءة ثم من بعدهم التابعين وتابع التابعين إلى أن جاء عصر ابن مجاهد الذي اختار سبعة من القراء لضبطهم في القراءة و رضا الناس عنهم.

المشهورون في القراءة من الصحابة:

لقد اشتهر في القراءة عدد من الصحابة منهم: عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب و مصعب بن عمير وغيرهم (رضي الله عنهم جميعاً)

أما الذين اشتهروا في القراءة من التابعين:

لقد اشتهر في القراءة من التابعين عدد كثير منهم: فمن أولئك

1- سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، عكرمة مولى عبدالله بن عباس في المدينة.
2- عطاء بن رباح، مجاهد بن جبر المكي، طاووس بن كيّسان في مكة.
3- عمرو بن عبد قيس، أبو العالية في البصرة.
4- أبو عبد الرحمن السَّلمي، و الأسود بن يزيد، وسعيد بن جبير في الكوفة.
5- المغيرة بن شهاب المخزومي، وخُلَيد بن سعيد في الشّام.

ثم جاء عصر ابن مجاهد و هو ابو بكر أحمد بن موسى بن عباس ابن مجاهد البغدادي (ت 324 هـ) الذي اختار سبعة من القراء لصفات منها ضبطهم في القراءة ورضا الناس عنهم وهم:

1- أبو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن بن أبي نُعَيم (ت 169 هـ) في المدينة.
2- أبو بكر عاصم بن أبي النّجود الكوفي (ت 128 هـ) قارئ الكوفة.
3- عبدالله بن كثير قارئ أهل مكة (ت 120 هـ).
4- حمزة بن حبيب الزيات (ت 156 هـ) في الكوفة.
5- علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) قارئ الكوفة ثم انتقل إلى بغداد.
6- أبو عمرو بن العلاء الحضرمي (ت 154 هـ) قارئ أهل البصرة.
7- أبو عبدالله اليحصبي (ت 118 هـ) قارئ أهل الشام.

ثم بعد ذلك اشتهر كتاب النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت 833 هـ) وهو الذي اختار السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد و اضاف إليهم ثلاثة وهم:

1- أبو جعفر يزيد بن القعقاع.
2- يعقوب الحضرمي.
3- خلف بن هشام.

وهذا الكتاب هو أوسع كتاب في القراءات العشرة وصل إلينا والله أعلم.

وبعد ذلك ظهر القراء الأربعة عشر الذين اختارهم أحمد بن محمد الدمياطي المعروف بالبناء (ت 1117 هـ) في كتابه إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر وهذه القراءات الأربعة عشر لا تعتبر قراءة الأربعة معتبرة لأن فيهم من كان يقدم العربية ع غيرها. وهؤلاء القراء هم:

1- محمد بن محيصن (ت 123 هـ)
2- يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 202 هـ).
3- الحسن البصري (ت 110 هـ).
4- سليمان بن مهران الأعمش (ت 148 هـ).

ملاحظات:

1- س/ هل القراءات السبعة والعشرة و الأربعة عشر صحيحة؟
ج/ القراءات السبعة والعشرة كلاهما صحيح والسبب أن تلك القراءات قد حوت أركان القراءة الصحيحة وهي صحة الرواية (الإسناد) وموافقتها لخط المصحف و لو احتمالاً و موافقتها للغة العربية ولو بوجه.
أما الأربعة الأخيرة من الاربعة عشر فهي غير معتبرة لأنها فقدت شرط أو أكثر من تلك الشروط (أركان القراءة الصحيحة) وأن من أولئك مثلاً محمد بن محيصن الذي ترك قراءة أهل بلده (مكة).

2- س/ما هو الفرق بين الاحرف السبعة والقراءات السبعة؟
ج/ أما الأحرف السبعة فهي منبثقة من حديث النبي ﷺ إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" وقد تكلم العلماء في معنى الأحرف فمنهم من قال التيسير، الكثرة، السهولة والمبالغة ومنهم من قال سبع لغات (لهجات) ومنهم من قال سبع ألفاظ مختلفة في النطق ومتفقة في حيث المعنى ومنهم من قال أوجه القراءات، أمّا القراءات السبعة فهي مشتقه ممّا صنعه ابن مجاهد حينما اختار سبعة من القراء لضبطهم و إتقانهم ورضا الناس عنهم.
وقد قال العلماء: لو أن ابن مجاهد اختار أقل من هذا العدد أو أكثر لكان أفضل حتى لا يختلط بحديث النبي ﷺ

3- ما هو الفرق بين مجاهد و ابن مجاهد؟
ج/ أما مجاهد فهو مجاهد بن جبر المكي (ت 104 هـ) تابعي تلميذ عبدالله بن عباس و اشتهر في التفسير، أما ابن مجاهد فهو أبو بكر أحمد بن موسى بن عباس المعروف بابن مجاهد (ت 324 هـ) واشتهر في ميدان القراءات وهو الذي اختار القراءات السبعة.

4- س/ ما هو الفرق بين ابن كثير القارئ وابن كثير المفسر؟
ج/ أما ابن كثير القارئ فهو مكي (ت 120 هـ) وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد واشتهر في ميدان القراءات، أما ابن كثير المفسر فهو أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت 776 هـ) دمشقي واشتهر في ميدان التفسير ومن أشهر كتبه (تفسير ابن كثير) (قصص الأنبياء) و(البداية والنهاية) في التاريخ وغيرها.

القراءة الشاذة

لقد أجمع الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه أن من أركان القراءة الصحيحة موافقتها لرسم المصحف وعَدَّ ما عدا ذلك شاذاً. و العلة أن القراءة الشاذّة إنما هي من قبيل المهجور أو المنسوخ (زال حكمه) وكان في فترة ما دعت الحاجة إليه.

الشاذ: مأخوذ من قولهم شذّ يشذُّ شذوذاً فهو شاذ، يقول علم الدين السخاوي والشاذ مأخوذ من قولهم شذّ أي تفرد وتفرق.

وأول من تتبع وجمع وألف في الشاذ هو هارون بن موسى العجفي البصري الأعور (ت قبل 220 هـ) وقد قال عنه العلماء ومنهم الأصمعي: لو ألف في الأحرف لكان أفضل، وقال أبو عمرو بن العلاء: و إني لأتهم الذي يقرأ بالشاذ ثم يقول: فقد يكون الشاذ من خبر الآحاد (أي ورد عن شخص واحد) ويقول أبو بكر القاضي: والقراءة بالشاذ إنما هي على سبيل التفسير والتأويل مثل قوله تعالى " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" سورة البقرة: 238، ثم قال صلاة العصر .

ويقول مجاهد بن جبر المكي تلميذ ابن عباس: لو أخذت القرآن عن ابن مسعود ما سألت ابن عباس عن كثير من المسائل.

و أما تعريف الشاذ: هو ما خالف خط المصحف و إن صح سنده إلى أن جاء عصر ابن مجاهد وهو أبو بكر أحمد بن موسى بن عباس ابن مجاهد، الذي عرف بسعته الكبيرة في القراءات وفي اللغات فاختار سبعة من القراء ممن عرفوا بالضبط والإتقان ورضا الناس عنهم فاختارهم واختار قرأتهم وعدَّ ما عدا هؤلاء شاذ وقراءته شاذة.

و ألف في موضوع (القراءات السبعة) وما عدا هؤلاء يعتبر شاذاً، وقد سار على منهجه تلامذتهُ من بعده ومنهم أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن هشام و ألف في القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد وما عدا هؤلاء شاذ، وكذلك ابن جني في كتابه (المحتسب) ومما قاله: وأنا سائر على منهج شيخنا ابن مجاهد و أن عدا ما عدا الذين اختارهم ابن مجاهد يعتبر شاذاً.

وكذلك سار على منهج ابن مجاهد أبو علي الفارسي و ألف كتاب (الحجة في القراءات السبعة) وقد ذكر القراء السبعة و أن ما عدا هؤلاء الذين اختارهم ابن مجاهد يعد شاذاً وكذلك ابن النديم في كتابه الفهرست.

و قال أبو شامة المقدسي: والقراءة الصحيحة ما كانت صحيحة الرواية، موافقة لخط المصحف، موافقة للغة العربية.

ويقول أبو الخير الجزري (وهو أوسع من تكلم في أركان القراءة الصحيحة): والقراءة الصحيحة ما كانت صحيحة الرواية، موافقة لخط المصحف ولو كان احتمالا، موافقة للغة العربية ولو بوجه سواءً كان القول صحيحاً أو أصح سواءً وردت عن طريق المقبولين (الصحابة) أو عن طريق التابعين أو القراء السبعة أو العشرة أو غيرهم. وهذا هو الذي يظهر عندي والله أعلم وعدا ذلك يعتبر شاذاً.

المحكم والمتشابه

المحكم: ما كان واضح الدلالة مثل: اقيموا الصلاة، ءاتوا الزكاة.
المتشابه: ما كان غير واضح الدلالة مثل: اليَّد، العرش، الكرسي.
يقول الطبري: وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (210 هـ): المحكم ما كان واضح الدلالة والمعنى والتفسير والتأويل والمتشابه ما كان غير واضح الدلالة والمعنى والتفسير والتأويل.
و باعتبار آخر يقول الرازي في كتابه: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، القرآن الكريم كله محكم من أوله إلى آخره من حيث تنظيمه وتنسيقه وابداعه، ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله تعالى:

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" سورة هود: :1، والقرآن الكريم كله

متشابه من أوله إلى آخره من حيث تنظيمه وتنسيقه وابداعه فليس هناك آية في غير محلها وكلمة في غير موضعها ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" سورة الزمر: 23.

والعلماء يستدلون على المحكم والمتشابه في القرآن بقوله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" سورة آل عمران: 7، وسبب نزول هذه الآية أن وفداً من نصارى نجران جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا في عيسى فذكروا ما لا يصح أو لا يجوز فنزلت الآيات من سورة آل عمران ما يقرب من بضع وثمانين آية ومنها هذه الآية.
وللآية معطيات منها:

1- إن الآية بينت أن في القرآن الكريم آيات محكمة ومتشابهة.
2- إن الآية ذمت الذين يتبعون المتشابه.
3- إن مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) سُئلَ: هل الراسخون يعلمون المتشابه؟ قال: لا، ثم قرأ قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" ثم أخبر تعالى فقال: والراسخون في العلم يقولون ءامنا به.

و أهل السلف (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين) قد ذموا الذين اتبعوا المتشابه و استدلوا بأدلة منها:

1- جاء في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (اية 7 من سورة آل عمران) ثم قال: أولئك الذين سمّ الله فاحذروهم (الذين في قلوبهم زيغ).
2- جاء في مصنف عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عباس أنه قرأ الآية فقال: والراسخون في العلم ءامنا به كلٌ من عند ربنا وما يذّكر إلا أولوا الألباب، وهذه القراءة و إن خالفت الرسم فإنها صحيحة من حيث المعنى.

3- إن الآية صريحة وواضحة على ذم الذين يتبعون المتشابه.

و أهل التفسير لهم أوجه في تفسير الآيات:

1- هناك آيات استأثر الله بعلمه بها.
2- هناك آيات نعرفُ معناها عن طريق النبي ﷺ
3- هناك آيات نعرف معناها من أهل اللغة.

وابن عباس (رضي الله عنهما) يقول التفسير على أربعة أوجه:
1- آيات نعرفها من خلال تفسير النبي ﷺ
2- هناك آيات لا يُعذر أحدٌ بجهالته به.
3- هناك آيات استأثر الله بعلمه بها.
4- آيات نعرفها عن طريق أهل اللغة.

ومن أمثلة المتشابه: الأحرف المقطعة فقد وردت هذه الأحرف بحرف واحد مثل (ن) وبحرفين مثل (طس، حم) وبثلاثة أحرف مثل (الم، الر) و بأربعة أحرف مثل (المر، المص) وبخمسة أحرف مثل (حم عسق)، هذه الأحرف وردت في 29 سورة وهي 29 حرف على رأي سيبويه، وفيها أحرف الهمس والجهر والاستعلاء والإطباق، وردت الأحرف المقطعة في 29 سورة؛ 25 سورة ورد بعدها كلمة الكتاب أو القرآن أو ماله علاقة بهما.
وقد تكلم العلماء في الأحرف المقطعة وممّا قالوا فيها:
1- إنها أسماء للقرآن الكريم.
2- إنها أسماء للسور.
3- إنها قسم.
4- إنها فواتح للسور أو مما تُفتح بها السور.
5- إن هذه الأحرف لها علاقة بالقوّة الرقمية فكل حرف يدل على رقم فيحسبون الأعمار والآجال.
6- إن كل حرف له علاقة باسم من أسماء الله تعالى مثل: ر- رحيم، ق- قدير.
7- يقول ابن عباس: إن هذه الأحرف لا يعلم معناها إلا الله تعالى.
8- يقول القرطبي: هذه الأحرف مما استأثر الله بعلمه بها.
9- ابن كثير جمع الأحرف في تفسيره من غير إعادة فكونت الجملة الآتية "نصٌ حكيمٌ قاطعٌ لهُ سرٌ".
10-يقول قطرب أحد علماء اللغة: إن هذه الأحرف نزلت حينما كان أهل الجاهلية يتكلمون عند نزول القرآن، وقال الله تعالى على لسانهم " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " سورة فصلت: 26، فلّما نزلت الأحرف المقطعة سكتوا. كأن قوله للتنبيه.
11-يقول الزركشي صاحب كتاب البرهان: إن هذه الأحرف لها علاقة مع نفس الأحرف في السورة فمثلاً في سورة (ق) أكثر حرف يتكرر هو حرف القاف وغير ذلك من الأمثلة.

12-إن هذه الأحرف وردت في السور المكية عدا البقرة وآل عمران.
13-إن هذه الأحرف في الأعم الأغلب يأتي بعدها ذكر الكتاب أو القرآن، أو ما لهُ علاقة بهما.
14-إن هذه الأحرف من جنس كلام العرب فكأنها للإعجاز.
15-قد أجريت دراسة من خلال الحاسب الإلكتروني وكانت على مطلع سورة البقرة فوجدت لها علاقة تصاعدية وتنازلية مع الأحرف في السورة فمثلاً حرف الألف ذُكر (4592) وحرف اللام (3204) وحرف الميم ورد (2195).
وهناك أقوال أخرى عن الأحرف المقطعة، وهذه الأقوال إنما هي وجهات نظر.

أ.م. د. قاسم فتحي سليمان